

أضواء البيان

@ 14 يَنْدَالُواْ خَيْرًا { ، قال رحمه الله تعالى عندها : ذكر جل وعلا أنه { اللّٰهُ السّٰدِّينَ كَفَرُواْ بِغَيْطِهِمْ } الآية . ولم يبين السبب الذي ردهم به . ولكنه جل وعلا بين ذلك بقوله : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لِّسَمِّ تَرْوَهُمَا } ا . . .

وهنا أيضاً في هذه الآية أسند إخراجهم إليه تعالى مع حصار المسلمين إياهم ، وقد بين تعالى السبب الحقيقي لإخراجهم في قوله تعالى : { فَأَتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ } ، وهذا من أهم أسباب إخراجهم ، لأنهم في موقف القوة وراء الحصون ، لم يتوقع المؤمنون خروجهم ، وطنوا هم أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقد كان هذا الإخراج من الله إياهم بوعده سابق من الله لرسوله في قوله تعالى : { فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آتَاكُمْ نَسْتَمِمْ بِهِ فَتَقَدَّرْ أَهْتَدُواْ وَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنِّي نَزَّامًا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } . . .

وبهذا الإخراج تحقق كفاية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم منهم ، فقد كفاه إياهم بإخراجهم من ديارهم ، فكان إخراجهم حقاً من الله تعالى : وبوعده مسبق من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . . .

وقد أكد هذا بقوله تعالى مخاطباً للمسلمين في خصوصهم : { وَمَا أَزِفْتُكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنَ اللّٰهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } وتسليط الرسول صلى الله عليه وسلم هو بما بين صلى الله عليه وسلم في قوله : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) وهو ما يتمشى مع قوله تعالى : { وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ } . . .

وجملة هذا السياق هنا يتفق مع السياق في سورة الأحزاب عن بني قريظة سواء بسواء ، وذلك في قوله تعالى : { وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } وعليه ظهرت حقيقة إسناد إخراجهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب . كما أنه هو تعالى الذي رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . بما أرسل عليهم من الرياح والجنود ، وهو الذي كفى المؤمنين القتال . وهو تعالى الذي أنزل بني قريظة من صياصيعهم .

وورث المؤمنین دیارهم وأموالهم ، وكان اؑ على كل شيء قديراً . .
ورشح لهذا كله التذیل فی آخر الآیة . یطلب الاعتبار والاتعاظ بما فعل اؑ بهم :